

المحاضرة رقم 05: مقاومة الأمير عبد القادر وتنظيم دولته

بعد سيطرة الجيش الفرنسي على قلعة مولاي حسن و سقوط الجزائر العاصمة في أيديهم، خيل لها أن بقية المدن الجزائرية ستسقط بكل سهولة دون مقاومة، إلا أن ردود الفعل الأولية التي أبداها سكان متيجة جعلتها تراجع حساباتها، فلجأت إلى المراوغة والتظاهر بأنها لا تريد من وراء غزوها العسكرية التأديبي احتلال البلاد أو التمركز فيها، وجمعت تظاهرها هذا بعرض الإقليمين القسنطيني والوهراني على باي تونس، وأجرت اتصالات به لم تسفر عن نتيجة لتردد هذا من ناحية والاعتراض بعض المسؤولين الفرنسيين على الفكرة.

لم يكن الطريق أمام فرنسا ممهدا عند احتلالها مما أدى إلى اكتفائها باحتلال المناطق الساحلية، إلا أنها حاولت بسط نفوذها داخل البلاد عن طريق شيوخ العرب ورؤسائهم ولكنها فشلت في ذلك نتيجة لمعارضة الجزائريين لتوغل النفوذ الفرنسي إلى داخل مما أدى إلى تصاعد المقاومة ضد الغزاة الفرنسيين.

1. مبايعة الأمير وتوليه الإمارة:

اعتمدت وهران في مقاومتها للغزو الفرنسي على قواتها الشعبية تارة وتارة أخرى على معونة السلطان لها، هذا الأخير الذي كان يتعرض للتهديد من فرنسا في كل مرة، وبأمر من محيي الدين ابن مبارك قام عبد القادر وإخوته بطواف السهول في كل جانب لإنقاذ الكثير منهم من أيدي اللصوص وأخذهم جميعا إلى أماكن مأمونة ووهران في حاجة إلى زعيم يقودها وينظم مقاومتها وجدت رغبتها في شخص محي الدين الذي اشتهر بسمعته الحسنة في قريته القيطننة، وبما أنه الشخص الجدير بالثقة والتقدير فقد اتجهت نحوه الأنظار فبعد أن تقاوم الاحتلال الفرنسي ألح الشعب على السيد محي الدين في أن يتولى الحكم وينظم البلاد أمام الفراغ الذي تركه الأتراك، وكان الشعب قد طلب منه مرة أولى أن يقبل الإمارة والقيادة في الحرب فرفض الإمارة لكبر سنه وقبل القيادة الحربية.

ودارت بينه وبين الفرنسيين عدة معارك، غير أن محي الدين اعتذر لهم لكبر سنه متهربا من تحمل المسؤولية العظمى، فأصروا عليه وهددوه بالقتل إن امتنع عن ذلك.

أ/ البيعة الأولى:

بعد أن أمعن محي الدين النظر في هذا الأمر رأى الاهتمام به واجب وتعين عليه شرعا أن يقوم به لأنه مسموع الكلمة، غير أنه لم يكن عاجزا عن القيام بأعبائه ورأى أن ولده قد بلغ أشده وأرهب حده وترشح لإمارة ومؤهل لها، وكان عمره 24 سنة.

ب/ البيعة الثانية:

دخل الأمير عبد القادر مدينة معسكر يوم 21 نوفمبر 1832م، وقد غلقت كل الشوارع بالطرق المؤدية إلى المدينة للالتقاء به، وكان الرجال والنساء والأطفال يتبادلون التهاني والترحيب بسلاطنتهم المستقبلي، حامل لواء الجهاد من طرف القبائل طيلة فترة نضاله 1832-1847م.

2. البعد الوطني لمقاومة الأمير عبد القادر:

لقد كان ظهور الأمير عبد القادر على مسرح الأحداث، وتوليد مقاليد الحكم في ظروف صعبة يعتبر كمنقلة نوعية في ممارسة السلطة في تاريخ الجزائر، أساسها رغبة الشعب وقوامها اعتماد الأمير عبد القادر على تأييدهم والتفافهم حوله، هذا ما يؤسس نظام حكم شرعي، ويكون قاعدة لبناء دولة وطنية لا تقوم على الإكراه ولكن تستند إلى مبادئ العدل والتعاون بين الجميع. أ- تأسيس الدولة: بناء الدولة على أسس إسلامية - المرجعية الدينية - فبمجرد مبايعته شرع عبد القادر في بناء الدولة ووضع دعائمها على أسس إسلامية مستمدة قوانينها من القرآن والسنة النبوية الشريفة وفي نفس الوقت مستمدة شرعيتها من الشعب.



ب- مجلس الشورى: يشمل 11 عضوا برئاسة أحمد الهاشمي المرامي، وهو يشبه البرلمان ويضم من العلماء الكبار العارفين بشؤون الشريعة الإسلامية وأيضا السياسة يستشيرهم الأمير في كل أمر تبعا للأمر الله تعالى "وأمرهم شورى بينهم".

ج- الهيكل السياسي والإداري:

يضم الهيكل السياسي والإداري للدولة 8 مقاطعات إدارية يرأس كل واحدة خليفة للأمير وتضم مقاطعاته تلمسان، معسكر مليانة، تيطري، الزيبان، ومقاطعة جبال القبائل الكبرى. وكان لدولته وكونه تتمثل في الديوان ومقره معسكر وكاتبان الأولى للجيش والثانية لشؤون الخارجية، وكان هناك خزينتان إحداهما عامة والأخرى خاصة.

كان التنظيم الإداري يقوم على راية الإمارة مع توزيع السلطات منها السلطة التنفيذية والتشريعية التي مقرها معسكر واتخذت الشريعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والمذهب المالكي دستورا لها.

وكانت العملة المتداولة حتى حين وضع عملة خاصة لدولة هي الريال الإسباني.

د- تنظيم الجيش وكل ما يتعلق به:

إن أول من فكر به الأمير عبد القادر تأسيس دولته في ظل الواقع الذي تعيشه الجزائر هو كيف تكون دولته قوية يجابه بها الاعداء، ولتحقيق ذلك لابد من تجهيز القوة العسكرية من جيوش وعتاد استنادا على الآية الكريمة يقول الله تعالى في آيته الكريمة "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل" سورة الانفال، فعلى جانب أنها تعطي صورة مهيبه للإمارة فإنها ايضا اداة لفرض النظام والامن في ربوع الدولة الفتية التي انتشرت بها الفوضى والاضطراب بعد رحيل الاتراك.

كما أنشأ الأمير عدة معامل في معسكر ومليانة والمدية وتلمسان لسك هذه العملة، ووظف الاجانب مؤقتا بها ليستبدلهم فيما بعد بالجزائريين بعد أن يتم تدريبهم لهذه الغاية أراد إضفاء الطابع العربي الإسلامي على إمارته نتيجة لسياسة رسمها منذ معاهدة دي ميشال وكان هدفه من ذلك إرضاء شعبه بشعور ديني إسلامي وذلك بضربه عبارات التوحيد على وجه العملة.

ويظهر على ان تلك النقود لم تكن مشخصة على عكس النقود التركية.

و- صك العملة:

أنشأ الأمير معمل لصك العملة الجزائرية قبل أن تنتقل إلى تاكدامت وكانت هذه العملة من الذهب والفضة والبعض منها كان من النحاس، ونقش على أحد وجهي الريالات الذهبية تاريخ الصك وعلى الوجه الآخر شعار الدولة.

ضرب الأمير عبد القادر نوعين من النقود من حيث القيمة وهي المحمدية والنصفية فأما المحمدية فقد سميت نسبة إلى السول ﷺ وأما النصفية فنسبة إلى قيمتها التي تساوي نصف القطعة المحمدية وقد تنوعت مضامين كتاباتها وحقوقها.

هـ - الراية (العلم):

اتخذ الأمير عبد القادر علما لدولته الناشئة تدعيما لنفوذه وسلطته فقد اختار لوائه على شكل قطعة من الكتان الحريري، أعلاها وأسفلها خضروات، ووسطها مرسوم عليه بالذهب الزركش في صورة دائرة عبارة "نصر من الله وفتح قريب" ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين " في وسط الدائرة يد مبسوطة مطرزة بالذهب.



ي- الجانب الدبلوماسي:

كانت لأمير عبد القادر صلات دولية واسعة مكثفة ومتعددة ومتنوعة مع كثير من العالم وقادته العسكريين والسياسيين والمفكرين وحظي بالتقدير والإكبار بفضل سلمه واسعة اطلاعه وتفهمه للمشاكل وعمق ثقافته وتفكيره وبعد نظره في القضايا والأبعاد السياسية والعسكرية. كثرت اتصالات الملك الانجليزي عن طريق القناصل بطنجة ومريد، وطلب منه التأييد والمساعدة المالية بعد أن تشرح له شراسة جيش الاحتلال الفرنسي وخذاع قادتهم وعرض على الحكومة الانجليزية أن يمنحها ميناء تنس أو غيره للاستعمار مقابل حصوله على الاسلحة والذخائر الحربي.

كما راسل السلطات العثمانية عبد المجيد، والصدر الأعظم وشرح لهما وضع البلاد والنكبات المتوالية التي يلحقها جيش الاحتلال الفرنسي بها، ثم طلب منها المساعدة والتأييد والدعم العسكري والسياسي.

كما راسل الأمير ملكة إسبانيا إيزابيل الثانية البوربونيه.

3. أهم المعاهدات التي قام بها الأمير عبد القادر:

❖ معاهدة دي ميشال للمخابرة مع الأمير 04 فبراير 1834م

كان الأمير عبد القادر بطبعه مبالا لسلم ولا يلجأ إلى حرب ويدخل المعارك إلا عندما تكون مصالحه العليا محدودة وقد كان الأمير في حاجة إلى سلم والهدوء في المكان الأول لإخضاع القبائل التي تعودت حياة الفوضى وترفض الاعتراف بسلطات الأمير والدولة، وهو في حاجة إلى السلم كذلك للبناء وتشبيد وتنظيم إدارته على أسس حديثة ولتسليح جيش وتعزيز فعاليته في القتال.

❖ إبرام معاهدة التافنة مع الجنرال بيجو 30 ماي 1837م.

صمدت الحكومة الفرنسية لدعم حول اخبار هزائم قواتها الجزائر فأسرعت بعزل كولونيل وعينت الجنرال بيجو مكانه وحددت له مهمته بالتالي إما أن يعقد الصلح مع عبد القادر وإما أنه ينصر عليه و وصل بيجو إلى الجزائر بدأ على الفور اتصاله بالأمير وجرت مرحلة طويلة من المفاوضات وتبادل الوسائل غير أنه كان من المجال على الأمير للانفراد بأمر نظير بدون

استشارة قاداته وزعماء قومه قديما إلى مؤتمر يجتمع على صفة نهر "هجرة" يوم 25 مايو 1837م هذه الخطوة التي أقدم عليها الأمير عبد القادر هزت أركان الاحتلال الفرنسي وهددت وجوده، في الجزائر وجعلته يعيد حساباته من جديد وهو ما جعلته يهتدي إلى التوقيع على معاهدة التافنة مع الجنرال "بيجو" بتاريخ 30 ماي 1837.

سعى الأمير عبد القادر إلى تحقيق ما يلي:

- اعتراف السلطات الفرنسية للأمير سيادته على مقاطعتين الجزائر ووهران
- تبادل التمثيل القنصلي بين الجزائر وفرنسا
- تنظيم شؤون الدولة وتعزيز القواعد العسكرية
- إدخال على الجهازين السياسي والعسكري وذلك من خلال تشكيل مجلس وزاري يضم رئيس الوزراء ونائبا ووزير الخزينة ووزير الأوقاف، تقسيم البلاد إلى ولاية يسيرها خليفة، والولاية قسمت على عدة دوائر كل دائرة يحكمها لأغا وتضم الدائرة عددا من القبائل يحكمها قائد ويوضح تحت تصرف القائد مسؤول إداري يحمل لقب الشيخ.

